(٣)

محمد الرسول القائد[١]

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

تحدثنا في الجمعة الماضية ، عن رسول الله ﷺ ، محمد عليه الصلاة والسلام ؛ الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، وحجة على الناس أجمعين ، فعلم به من الجهالة ، وهدى به من الضلالة ، تحدثنا عن جانب من سيرة رسول الله ﷺ .

شمولية الأسوة والقدوة في حياة رسول الله :

وسيرة رسول الله ﷺ سيرة جامعة شاملة ، يجد كل إنسان فيها موضعاً للقدوة ، الرسل السابقون جعل الله تعالى في كل منهم جانباً أو جانبين أو ثلاثة أو أكثر للاقتداء ؛ أما محمد ﷺ فجانب الأسوة في حياته ، وجانب الاقتداء في سيرته : لا يُعد ولا يُحصى ، كل إنسان يستطيع أن يجد في هذه السيرة المحمدية ، وفي هذه السنة النبوية ما يقتدي به ، وما يكون له أسوة : الشاب والشيخ ، الحاكم والمحكوم ، الغني والفقير ، المسالم والمحارب ، المنتصر والمنهزم ، الأب والجد ، العزب والمتزوج ، المتزوج زوجة واحدة ، والمتزوج أكثر من زوجة ، المتزوج زوجة صغيرة ، والمتزوج زوجة كبيرة ، المتزوج ثيباً ، والمتزوج بكراً ، كل ناحية من نواحي الحياة .

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة ، في يوم الجمعة ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٢هـ ، الموافق : ١٥ يونيو ٢٠٠١م .

OBEIKAN.COM

يجد الإنسان المسلم في سيرة محمد ﷺ ما يقتدي به ، وذلك لأنه صاحب الرسالة الشاملة ، الرسالة العامة الخالدة التي امتدت مكاناً وزماناً وإنساناً[1]

حياة المسيح عليه السلام لا تصلح أسوة لكل الناس :

إن الإنسان المجاهد لا يستطيع أن يجد في سيرة المسيح عليه السلام مكاناً للاقتداء لأن المسيح لم يحارب ، لا يستطيع أن يجد فيه مجالاً لحاكم ؛ لأن المسيح لم يحكم ، لا يستطيع أن يجد فيه مجالاً لزوج ؛ لأنه لم يتزوج ، ولذلك لا مكان فيه للاقتداء لزوج ولا لأب ولا لجد ، ولكن رسول الله ﷺ يستطيع كل إنسان إذا بحث في سيرته أن يجد فيها موضعاً للأسوة ، ومن ذلك الجهاد ، وما أحوجنا في هذا العصر إلى أن نتحدث عن الجهاد ، بعد أن أصبح دم المسلمين أرخص من التراب ، أرخص دم في الأرض هو دم الأمة الإسلامية ، يهدر هذا الدم ويراق هنا وهناك ، ولا نجد من يحمي ولا من يغار لهذه الدماء المسفوكة!!

حاجتنا إلى دراسة السيرة الجهادية للرسول :

ما أحوجنا إلى أن نتحدث عن الجهاد ، ولذلك تحدثنا في الجمعة الماضية عن الرسول المجاهد ؛ الذي اشترك بنفسه في سبع وعشرين غزوة ، وأرسل من أصحابه بضعاً وخمسين سرية ، أي أنه عاش حياته كلها في الجهاد . حياته في مكة كانت جهاداً من نوع ، وفي المدينة كانت جهاداً من نوع آخر . في مكة كانت جهاد الصبر والاحتمال ، وجهاد الدعوة والتبليغ ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم ـ أي بالقرآن ـ بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان:٥٢)، وسنوات المدينة

---

(١) من الخصائص المميزة لشريعة الإسلام : خصيصة الشمول ، وقد كتب فيها العلماء ، ولنا في ذلك إسهامات منها : «الخصائص العامة للإسلام» و«شمول الإسلام» ، طبعة مكتبة وهبة القاهرة .

العشر كانت جهاد الكفاح المسلح ؛ الصدام الدامي مع القوى المعادية له ، وما كان أكثرها .

جهاد في عِدّة جبهات :

كان عليه الصلاة والسلام يحارب في عدة جبهات :

الجبهة الوثنية في الجزيرة العربية ؛ في مكة وخارج مكة .

والجبهة اليهودية التي والاها وعاهدها واتفق معها في أول الأمر ، ثم غدرت به وانضمت إلى أعدائه .

والجبهة النصرانية في الدولة الرومانية البيزنطية التي تتنازع مع الدولة المجوسية في إيران ـ في فارس ـ السيادة على العالم ، وهؤلاء أيضاً كانوا يتربصون بالدعوة الإسلامية .

وجبهة المنافقين في الداخل ، هذا الطابور الخامس ، هذا الذي يفت في عضد الأمة ، يقولون : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة:٨،٩) .

مع الرسول المجاهد القائد :

نتحدث اليوم أيها الإخوة عن الرسول القائد ، تحدثنا عن الرسول مجاهداً ، واليوم نتحدث عنه مجاهداً قائداً ، فقد كان هو الذي يقود الجهاد ، هو الذي يقود الأمة ، هو الذي يؤسس فقه الجهاد وقِيم الجهاد ، كان هو القائد الأعلى للأمة الإسلامية الناشئة الفتية ، التي رمتها العرب «عن قوس واحدة»[1] ، وعاداها الناس في المشرق والمغرب من أجل هذا الدين الجديد ، الذي جاء يعلن تحرير الإنسانية كلها ، فلا تأله من أحد على أحد ، ولا عبودية من أحد

---

(١) جزء من حديث في وصف حال المسلمين في غزوة الخندق. سبق تخريجه .

لأحد ، ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:٦٤) ، لا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله ، أنا مخلوق وأنت مخلوق فعلام تربني؟ علام تصبح رباً لي ، وأنا وأنت مخلوقان لله عز وجل ؟ !

جاء الإسلام يعلن التحرير للبشرية ، ولذلك وقف الأباطرة ، والأكاسرة ، والقياصرة ، والمتجبرون في الأرض ، والمستكبرون هنا وهناك ؛ ضد هذه الدعوة الجديدة ، وكان لا بد لمحمد ﷺ ؛ وللمؤمنين معه : أن يواجهوا هذا الطغيان .

لا تجوز التضحية بالرجال والجنود من أجل عمل جنوني :

كان محمد عليه الصلاة والسلام نِعْم القائد لنِعْم الجند ، كان حريصاً على جنده ، القائد الموفق . . القائد الناجح ، هو الذي يَضِن بجنده أن يُسفك دم أحد منهم إلا لحاجة أو ضرورة لا بد منها ، ولذلك كان أصحابه عليهم الرضوان يأتون إليه في مكة يشكون إليه مما ينالهم من أذى المشركين ؛ هذا مضروب ، وهذا مشجوج ، وهذا مجروح ، ويقولون له : ائذن لنا أن ندافع عن أنفسنا يا رسول الله ، فيقول لهم : ﴿ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (النساء:٧٧) [1] ، لم يأت الأوان بعد ، انشغلوا بذكر الله ، والصلاة ، وعبادة الله ،

---

(١) رواه النسائي في الجهاد (٣٠٨٦) عن عبد الرحمن بن عوف ، والحاكم في المستدرك كتاب الجهاد (٧٦/٢) ، وقال : صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ، والبيهقي في الكبرى كتاب السير (١١/٩) ، عن ابن عباس ، وقال الألباني في صحيح النسائي : صحيح الإسناد (٢٨٩١) ، ونصه : أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له أتوا النبي ﷺ بمكة ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا كنا في عز ونحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذلة. فقال : « إني أمرت بالعفو ، فلا تقاتلوا». فلما حولنا الله إلى المدينة ، أمرنا بالقتال ، فكفوا. فأنزل الله عز وجل ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (النساء:٧٧)

كفوا أيديكم عن القوم ، لم يشأ أن يغذيهم بالحماس ، وأن يقول لهم : هيا بنا نخرج في عملية فدائية ، نكسر الأصنام الثلاثمائة والستين حول الكعبة ، لم يفعل ذلك ، لأنه لو فعل ذلك لكانت عملية انتحارية ، سيكسر الأصنام ؛ ثم تكسر رؤوسهم هم وتبقى الأصنام .

ما قيمة أن تكسر الصنم ثم يأتي غداً أو بعد غد صنم مثله؟ الأصنام حجارة ونحّات ينحتها ، فإذا كُسر الصنم اليوم ولِم يُكْسر في رأس صاحبه ، فسرعان ما يأتي بصنم بدل الصنم ، ولذلك لم يُكسر عليه الصلاة والسلام الأصنام ، وبقيت هذه الأصنام إلى يوم الفتح ، حتى إن النبي عليه الصلاة والسلام في عمرة القضاء طاف بالبيت في السنة السابعة من الهجرة ، وهذه الأصنام موجودة ، ولم يمسها بسوء ، لم يأت الأوان بعد .

كل شيء بأوان وبأجل مسمى :

وهذا درس يعلمنا أن كل شيء بأوان وبأجل مسمى ، وأنه لا يجوز التضحية بالرجال والجنود من أجل عمل جنوني ، لا يُقدّم ولا يؤخر في النهاية ، ولهذا من حسن قيادة محمد ﷺ ، أنه كان حريصاً على جنده ، حينما أذن الله بالجهاد ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج:٣٩) ، كان هناك دور آخر ، هذا الدور الآخر اندمج فيه محمد القائد بجنوده وأنصاره ، فكان كواحد منهم .

من خصائص القائد الموفق :

١- أن يكون كواحد منهم :

القائد الفذ ، القائد الموفق هو الذي لا يكون هناك انفصال بينه وبين جنوده ، ليست هناك هوّة ولا فجوة بين القائد والجنود ، هكذا كان محمد ﷺ ، كان يعيش فيهم كواحد منهم ، إذا جاعوا فهو أول من يجوع وآخر من يشبع ، إذا ضحوا فهو أول من يبذل وآخر من يستفيد ، كان كواحد منهم .

في غزوة بدر كان مع المسلمين سبعون بعيراً وهم مائة وبضعة عشر رجلاً ، سبعون بعيراً يتعاقبونها ، يركب كل واحد منهم مرحلة من الطريق ، يتناوبون ، فكان مع النبي ﷺ اثنان من الصحابة[1] ، فقالا له : يا رسول الله نحن أشب منك ، الرسول فوق الخمسين ، حواليْ خمسة وخمسين سنة وهم شباب ، فقالوا : نحن أشب منك ، نحن نكفيك المشي ، فأنت تركب ونحن نمشي ، فماذا قال عليه الصلاة والسلام؟ قال : والله ما أنتما بأقوى مني على المشي ، وما أنا بأغنى منكما عن الأجر ، يعني : أنا قوي على المشي ، ولست غنيا عن الأجر ، أريد أن أشارككم في الأجر[2] .

هكذا كان ﷺ ؛ واحداً منهم ، في فترة من الفترات أصابهم الجوع ، وكشف بعضهم عن بطنه ؛ فإذا هو قد وضع حجراً على بطنه من شدة الطوى ، فلما رآهم النبي ﷺ فكشف عن بطنه ؛ فإذا به قد وضع حجرين لا حجراً واحدا من شدة الجوع[3] . عليه السلام وعليهم الرضوان .

والفضل ما شهدت به الأعداء :

هكذا كان مندمجاً مع جنوده وأتباعه ، ولذلك أحبهم وأحبّوه ، أحبّوه . . فكانوا لا يحبون أن يمسه أي أذى،وقال ذلك أحدهم[4] حينما أخذه أهل مكة ،

---

(١) الصحابيان هما : علي بن أبي طالب وأبو لبابة رضي الله عنهما .

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند (٣٩٠١) وقال محققوه : إسناده حسن ، ورواه النسائي في الكبرى في السير (٥/٢٥٠) ، وأبو يعلى (٩/٢٤٢) ، وابن حبان (١١/٣٥) ، ونص الحديث عن عبد الله ابن مسعود قال : كنا يوم بدر ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ قال : وكانت عقبة رسول الله ﷺ ، قال : فقالا : نحن نمشي عنك فقال : «ما أنتما بأقوى مني ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما».

(٣) كما في حديث عن أبي طلحة قال : «شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر ، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين» رواه الترمذي في الزهد (٢٣٧١) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤١٣).

(٤) هو الصحابي الجليل خبيب بن عدي .

وعلقوه على خشبة الصلب ليصلبوه ويقتلوه ، وقال له أبو سفيان ـ وكان لا يزال على الشرك ـ : أتحب أن تكون في بيتك وبين أهلك ومحمد في مكانك؟ قال : والله ما أحب أن يكون رسول الله ﷺ في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة في قدمه ، فقال أبو سفيان : ما رأيت أحداً يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمداً[1] .

لا يوجد من يحب قائده كما يحب أصحاب محمد محمداً .

في غزوة بدر كان الرسول عليه الصلاة والسلام يسوي الصفوف ، بسهم لا نصل له في يده ، يريد أن تكون الصفوف مستوية ، فلمس أحدهم بهذا السهم ، فقال : يا رسول الله أوجعتني ، لقد بعثك الله بالحق والعدل ، فمكني أقتص منك ، فكشف النبي ﷺ عن صدره وقال : خذ بحقك يا سواد ، كان اسمه سواد ابن غزية ، فأقبل الرجل يقبل النبي ﷺ ويلتزمه ويلتمسه ، قال : خذ بحقك . قال : يا رسول الله! ما إلى هذا أردت ، ولكن قد حضر من الأمر ما ترى ، فلعل الله يكتب لي الشهادة في سبيله ، فأردت أن يكون آخر عهدي من الدنيا ؛ أن يمس جلدي جلدك يا رسول الله[2] .

هكذا حب الجنود لقائدهم ، أي قائد في الدنيا تلتف حوله القلوب مثل هذا القائد العظيم محمد ﷺ ؟ !

---

(١) انظر : سيرة ابن كثير (١٢٥/٣) وزاد المعاد (٣/ ٢١٨) .

(٢) قصة سواد ذكرها ابن كثير ، قال : قال ابن إسحاق وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه : أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قدح يعدل به القوم ، فمر بسواد ابن غزية حليف بني علي بن النجار ، وهو مستنتل من الصف فطعنه في بطنه بالقدح ، وقال : «استو يا سواد». فقال : يا رسول الله أوجعتني ؛ وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني . فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه ، فقال : «استقد» . قال : فاعتنقه ، فقبل بطنه . فقال : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال : يا رسول الله حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير. انظر : سيرة ابن كثير (٤٠٩/٢) .

٢- أن يشاورهم في الأمر :

ولذلك كان أيضاً من أسباب توفيقه في قيادته أنه كان كثير المشاورة لجنوده وأصحابه ، ما كان يقطع أمراً من أمور الحرب دونهم ، وعندنا مثل واضح في ذلك ، غزوة بدر ، في غزوة بدر استشار الناس النبي ﷺ قبل الغزوة ، واستشار في أثناء الغزوة ، واستشار بعد الغزوة ، وقال أبو هريرة وغيره : ما رأيت أحداً أكثر مشاورة من النبي ﷺ[١] .

استشارهم قبل الغزوة ليطمئن على أنهم يدخلون المعركة راضين مطمئنين ، وسألهم : أشيروا عليّ أيها الناس . فقام أبو بكر ، وتكلم وأحسن ، وقام عمر ، فتكلم وأجاد ، وقام المقداد بن الأسود ، وقال : والله يا رسول الله! لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ (المائدة:٢٤) ، بل نقول لك : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فقال له : أحسنت[٢] .

كل هؤلاء من المهاجرين ، وكان يريد أن يسمع رأي الأنصار ، وهم أصحاب الدار وأصحاب الأغلبية ، ففهم سعد بن معاذ المراد ، وقال له : كأنك تريدنا يا رسول الله ، والله لقد آمنا بك وصدقناك وأيقنا أن ما جئت به هو الحق ، فوالله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه وراءك ما تخلف منا رجل واحد ، وإنا لصُبر في الحرب صُدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به

---

(١) رواه ابن حبان (٤٨٧٢) وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح ، ورواه البيهقي في الكبرى (٤٥/٧).

(٢) إشارة إلى حديث ابن مسعود قال : شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به ، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين ، فقال : لا نقول كما قال قوم موسى : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾ (المائدة:٢٤)، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فرأيت النبي ﷺ ؛ أشرق وجهه وسرَّه. رواه البخاري في المغازي (٣٩٥٢).

عينك . فسر رسول الله ﷺ[1] ، وكان إذا سُرّ استنار وجهه كأنه فلقة قمر[2] . ودخلوا المعركة على بركة الله .

وفي أثناء المعركة استشارهم في أكثر من مرة ، وأشار عليه الحباب ابن المنذر : أهذا المنزل الذي نزلته يا رسول الله بوحي من الله ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : فليس هذا بمنزل ، المنزل أن تفعل كذا وكذا وكذا ، فقال : الرأي ما أشار به الحباب[3] .

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام (١٦٢/٣) ، وسيرة ابن كثير (٢/ ٣٩٢) ، وأشار إلى هذه المشورة مسلم في صحيحه لكنه جعل المتحدث سعد بن عبادة ؛ فعن أنس : « أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان ، قال : فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقام سعد بن عبادة فقال : إيانا تريد يا رسول الله ؟ والذي نفسي بيده ؛ لو أمرتنا أن نُخيضها ـ الإبل فلم يكن معهم سوى فرسين ـ البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا.. » رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٧٩).

(٢) جزء من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خُلّفوا ، وفيه يقول :« فلما سلّمتُ على رسول الله ﷺ ، وهو يبرق وجهه من السرور ؛ وكان رسول الله ﷺ إذا سُرّ استنار وجهه ، حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه.. » رواه البخاري في المناقب (٣٥٥٦) ومسلم في التوبة (٢٧٦٩) وأحمد في المسند (١٥٧٨٩) وأبو داود في الطلاق (٢٢٠٢) والنسائي في « الكبرى» في الطلاق (٥٥٨٦) وفي « المجتبى» (٣٤٢٣).

(٣) قصة الحباب ذكرها ابن كثير ؛ قال : قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء ، حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به ، قال ابن إسحاق : فحُدثت عن رجال من بني سلمة ، أنهم ذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل ؛ أمنزلا أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله! فإن هذا ليس بمنزل ، فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم ، فننزله ثم نغور ما وراءه من القُلب ، ثم نبني عليه حوضا ، فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأي.(انظر : البداية والنهاية لابن كثير ، ٣/ ٢٦٧).

OBEIKAN.COM

وبعد المعركة استشارهم في الأسرى واختلفت آراؤهم ، وقال لأبي بكر وعمر : «لو اتفقتما على رأي ما خالفتكما[1]»، ولكنهما اختلفا ، فآثر رأي أبـي بكر في أن يبقي على هؤلاء الأسرى ، ويقبل الفداء منهم ، ليستعين به المسلمون ، وجاءه العتاب من ربه عز وجل[2] .

هكذا كان رسول الله ﷺ يشاور في أموره حتى يستبين له الصواب ، يستريح أتباعه والجنود معه أنهم مشاركون في قرار الحرب ، أنهم يحاربون برأيهم ، أنهم لا يجبرون على شيء لا يعرفون له أولاً من آخر ، هكذا كان ﷺ ، فكان نعم القائد حقاً . كان يشاور ، وكان يعرف جنوده جيداً .

٣- أن يعرف خصائص جنوده وقدرات عدوه :

القائد الموفق هو الذي يعرف جنوده ، ويعرف خصائص جنوده ، يعرف أن هذا ينفع في كذا وهذا ينفع في كذا . كما يعرف أعداءه ، يعرف نقاط القوة فيهم ونقاط الضعف فيهم ، يحاول أن يتفادى نقاط القوة ، وأن يستفيد من نقاط الضعف .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٧٩٩٤) عن عبد الرحمن بن غَنم ، وقال مخرّجوه : إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب ، وحديث عبد الرحمن بن غَنم عن النبي مرسل ، ورواه الطبراني في الأوسط (٢١٢/٧) عن البراء بن عازب ، وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه حبيب ابن أبي حبيب كاتب مالك ، وهو متروك (٣٨/٩).

(٢) حديث مشاورة النبي في أسرى بدر رواه مسلم عن ابن عباس عن عمر قال : فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر : يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ : «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قلت : لا. والله ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم ، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكني من فلان (نسيبا لعمر) فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها ، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت... رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٦٣) ، وأحمد في المسند (٢٢١) وأبو داود في الجهاد (٢٦٩٠) والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٨١).

وهكذا كان رسول الله ﷺ ، وكان يستعين على ذلك بالعيون ، بالجواسيس تتجسس على المشركين[1]، ويعرف ما عندهم ، يبعث الطلائع ويبعث العيون ، وكان أحياناً يريد أن يباغتهم[2]، كثيراً ما كان يوري بالجهة التي يريد أن يذهب إليها حتى لا يتسرب الخبر إلى أعدائه ، ليصل إليهم فجأة فيباغتهم فيجبرهم على التسليم بأقل الخسائر الممكنة، ولم يصرح بغزوة غزاها إلا غزوة تبوك[3]، لأن هذه كانت غزوة لها خصوصية ، كانت غزوة إلى الروم أكبر قوة ضاربة إلى الأرض ، إذ بعد أن انتصرت على الفرس أصبحت أعظم قوة في العالم ، كقوة أمريكا اليوم .

وقد سمع النبي ﷺ أنهم يريدون أن يغزوه في المدينة ، فأراد أن يسبق هو . كما يقولون : الضربة الأولى نصف المعركة ، أراد أن يغزوهم قبل أن يغزوه ، كان هذا من حسن قيادته وحسن سياسته الحربية ، لا ينتظر حتى يدخل أعداؤه عليه داره ، لا ، أراد أن يبدأ هو ويفاجئهم بهذه المعركة ، وبهذه الغزوة ، غزوة

---

(١) كما فعله النبي ﷺ في بدر ، فعن أنس ، أن النبي ﷺ بعث بُسَيْسَةَ عينا ينظر ما صنعت عير أبي سفيان». رواه مسلم في الإمارة (١٩٠١) ، وأحمد في المسند (١٢٣٩٨) ، وأبو داود في الجهاد (٢٦١٨). وقال النووي في شرح مسلم : هكذا هو في جميع النسخ (بُسَيْسَة) بباء موحدة مضمومة ، وبسينين مهملتين مفتوحتين ، بينهما ياء مثناة تحت ساكنة ، قال القاضي : هكذا هو في جميع النسخ. قال : وكذا رواه أبو داود وأصحاب الحديث. قال : والمعروف في كتب السيرة (بَسْبَس) بباءين موحدتين مفتوحتين بينهما سين ساكنة. وهو بَسْبَس بن عمرو ، ويقال بن بشر ، من الأنصار من الخزرج ، ويقال : حليف لهم. قلت : (النووي) يجوز أن يكون أحد اللفظين اسما له والآخر لقبا. انظر : شرح مسلم (١٣/٤٤).

(٢) كما في غزوة مكة ، وكان النبي ﷺ قد دعا ربه قائلا :« اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة ، ولا يسمعوا بنا إلا فجأة». انظر : سيرة ابن كثير (٣/٥٢٦).

(٣) يشير الشيخ إلى كلام كعب بن مالك في قصة توبته ، قال : «ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها» رواه البخاري في المناقب (٣٥٥٦) ومسلم في التوبة (٢٧٦٩) وأحمد في المسند (١٥٧٨٩) وأبو داود في الطلاق (٢٢٠٢) والنسائي في « الكبرى» في الطلاق (٥٥٨٦) وفي النسائي في «المجتبى» (٣٤٢٣).

تبوك ، التي سميت غزوة العسرة ، لأنها كانت في شدة الحر ، وفي أيام جني الثمار ، كل إنسان يريد أن يبقى في نخيله وثماره ليجني هذه الثمار ويستمتع بها ، ولذلك رأينا المنافقين انتحلوا أعذاراً كثيرة ليتخلفوا ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة: ٨١) ، كان يورّي ، ما معنى يوري ، يعني يقول لفظاً فيه تَورية ، يسأل عن النهر الفلاني ، فيفهم الناس أنه ذاهب إلى الشمال ، لأن هذا النهر في الشمال ، ولكنه يريد أن يذهب إلى الجنوب ، ليُعمّي على خصومه وأعدائه ، حتى لا يعرفوا وجهته .

٤- أن يكون خبيرًا في الحرب :

وهكذا كان عليه الصلاة والسلام ، خبيراً في الحرب ، صحيح أنه لم يحارب في صباه ، لكنه شارك في حرب اسمها حرب الفجار[١] ، بين قريش وكنانة ، شارك فيها أعمامه وكان صبيا صغيراً ، ولكنه درب نفسه وهو يرعى الغنم ، وكان يملك من الشجاعة ما لا يملكه أحد ، ويملك من قوة البدن ما لا يملكه أحد ، صارع ركانة[٢] فصرعه ، كان يركب الفرس معروريّاً[٣] بلا سرج ولا لجام .

---

(١) سُمِّيت هذه الحرب بحرب الفجار لما استُحل فيها من حرمات ، ووقعت هذه الحرب بين قريش ومن معهم من كنانة وبين هوازن . وسببها أن عروة الرحّال بن عتبة بن هوازن أجار لطيمة - الجمال التي تحمل الطيب والبز والتجارة - للنعمان بن المنذر إلى سوق عكاظ ، فقال البرّاض بن قيس ابن كنانة : أتجيرها على كنانة؟ قال : نعم ؛ وعلى الخلق ، فخرج بها عروة ، وخرج البرّاض يطلب غفلته حتى قتله ، وعلمت بذلك كنانة فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم ، ثم بلغهم الخبر ، فاتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن ، ثم التقوا بعد هذا اليوم أيامًا ، وعاونت قريش كنانة . للمزيد انظر : سيرة ابن كثير (١/ ٢٥٧).

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

٥- أن يكون قوي الجسم قوي النفس :

كان ﷺ قوي الجسم قوي النفس ، لا يخاف إلا الله ، لا يخاف الموت لأنه يعلم أن كل شيء بأجل عند الله ، لا يستطيع أحد أن يميتك قبل يومك ولا قبل ساعتك ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف:٣٤) ، فكان واثقاً بالله ، في قمة الشجاعة ، وقد قال فارس الإسلام علي ابن أبي طالب : كنا إذا حمي الوطيس واحمرت الحدق واشتد البأس اتقينا - يعني احتمينا - برسول الله ﷺ ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه[1] .

انظروا هذه الشجاعة ، الصحابة يحتمون به في ساعة البأس والكرب ، أوتي من قوة الجسم ، ومن شجاعة النفس ، ومن رجاحة العقل ؛ ما جعله أعظم قائد في العالم ، قد كتب كثير من العسكريين المسلمين ؛ منهم اللواء محمود شيت خطاب ، واللواء جمال الدين محفوظ ، وغيرهما من الرجال العسكريين ؛ عن عبقرية الرسول العسكرية ﷺ ، وقارن الأستاذ عباس العقاد في كتابه « عبقرية محمد» قارن بين محمد وبين نابليون ، ووجد أن محمدا ﷺ كان أقوى في قيادته ، وأفضل من نابليون في حروبه ، في مواضع كثيرة .

٦- لا يستخفه النصر إذا انتصر ، ولا تزلزله الهزيمة إذا انكسر :

كان عليه الصلاة والسلام نعم القائد . والقائد الحق . . . القائد الفذ ، هو الذي لا يستخفه النصر إذا انتصر ، ولا تزلزله الهزيمة والانكسار إذا انكسر ، وهذا ما رأيناه في حياته ﷺ ، ما أكثر ما انتصر في حياته ؛ ولكنه قد انكسر جيشه في غزوة أحد حينما خالفوا أوامره ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾(آل عمران:١٥٢)، بعد أن رأوا النصر في أول الأمر خالفوا أمره ، وكشفوا ظهورهم للعدو ،

---

(١) سبق تخريجه .

وتركوا الجبل الذي قال لهم الرسول ﷺ: لا تتركوه ولو رأيتمونا تخطفتنا الطير. ولكنهم قالوا: إنما كان يريد في حالة الهزيمة، والآن المسلمون قد انتصروا، فتركوا أماكنهم، وقائدهم الذي عينه الرسول يقول لهم: اذكروا وصية النبي ﷺ، ولكن الغنائم سال لعابهم إليها، لعاعة[1] الدنيا أسالت لعابهم، فتركوا الجبل، ونزلوا ليأخذوا من الغنائم، وكشفوا ظهرهم، فأدرك هذا الأمر قائد الفرسان، قائد الخيالة في جيش المشركين: خالد بن الوليد، الذي لم يكن قد أسلم بعد فانتهز الفرصة، والتف على المسلمين من الخلف، وأعمل فيهم السيف، وكان ما كان[2]. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

كانت هذه الهزيمة في أحد درساً استفاد منه المسلمون، كان تمييزاً وتصفية كما قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ (آل عمران:١٧٩)، كما كان تطهيراً وتربية ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(آل عمران:١٥٤)، قد أراد الله أن يتخذ من المؤمنين شهداء كما قال: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (آل عمران:١٤٠).

---

(١) اللُّعاعةُ: نَبْت ناعم في أوّل ما يَنْبُتُ، وهي: الكَلأُ الخفيف رُعِيَ أو لم يُرْعَ، وهي: ما بقي في السقاء وفي الإناءِ. انظر: لسان العرب (٨/ ٣١٩) والنهاية في غريب الأثر (٤/ ٥٠٧).

(٢) قصة الرماة في أحد رواها البخاري بطولها عن البَرَاء بن عازب وفيها: جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجَّالة يوم أُحد ـ روى البخاري وكانوا خمسين رجلا ـ عبد الله بن جبير، فقال: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أُرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أُرسل إليكم». فهزموهم. قال: فأنا والله رأيتُ النساء يشتدُدْن (يسرعن)، قد بدت خلاخلهنَّ وأسوقهنَّ رافعات ثيابهنَّ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة! أي قوم، الغنيمة! ظهر أصحابكم، فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى اللهم عليه وسلم؟ قالوا: والله لنأتينَّ الناس، فلنصيبنَّ من الغنيمة. فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين....» رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٣٩)، وأحمد في المسند (١٨٥٩٣).

من دروس أحد :

كان لا بد من هذه المحنة ليتعلم المسلمون منها دروساً جديدة ، فالانتصار المتوالي قد يحدث غروراً في النفس ، وعجباً بالقدرات الخاصة ، فأراد الله أن يلقنهم هذا الدرس ، ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٠-١٤٢) .

كان درساً لا بد منه ، حتى إنهم حينما أشاعوا أن محمدا قد مات علّق القرآن على ذلك فقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(آل عمران: ١٤٤)، العبرة بالمبادئ أم بالأشخاص؟ أنتم تقاتلون من أجل شخص محمد أم من أجل حقيّة الدعوة والرسالة ﴿ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ ، وتلا ذلك عليهم محمد ﷺ (ليعلقهم) بالدعوة لا بالداعي ، (ليعلقهم) بالرسالة لا بشخص الرسول ، ولذلك استفاد أبو بكر من هذه الآية يوم وفاة النبي ﷺ ، وقد هاج هائج الصحابة وقال منهم من قال : من قال إن محمداً قد مات ضربت عنقه ، وقام أبو بكر وقال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا هذه الآية ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [1] .

---

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة (٣٦٦٨) والنسائي في «الكبرى» في الجنائز (١٩٨٠) وفي «المجتبى» في الجنائز (١٨٤١) وابن ماجه في الجنائز (١٦٢٧) عن عائشة .

إن محمداً عليه الصلاة والسلام من قوة اليقين وقوة الإيمان برسالته بحيث لا يزعزعه ولا يزلزله انكسار لجيشه ، ولا يستخفه نصر انتصر فيه . كثيراً ما انتصر ؛ ولكنه لم يعجب بنفسه ، ولم يغتر بجيشه ، أعظم انتصار حققه هو نصر فتح مكة ، الفتح الأعظم الذي أصبح به سيد الجزيرة ، دانت مكة عاصمة الوثنية العربية ، دانت للإسلام ، ودخلها فاتحاً ، وكسّر الأصنام ، وحطّم الأوثان برمحه ، وهو ينكسها على وجهها ويقول : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء:٨١) ومع هذا دخل متواضعاً ، يكاد يضع جبهته على رحل الناقة[١] ، ساجداً لله أو أشبه بالساجد .

وحينما دخل المسجد الحرام صلّى ثماني ركعات لله عز وجل[٢] ، يسميها العلماء : صلاة الفتح[٣] ، ثماني ركعات لله سبحانه وتعالى . ولم يناد أحد :

---

(١) قال ابن القيم واصفا هذا الحال العجيب : دخل رسول الله ﷺ واضعا رأسه منحنيا على فرسه حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته واستكانة لعزته. انظر : زاد المعاد (٤١٨/٣). وقال الغزالي : ... على حين كان الجيش الزاحف يتقدم ورسول الله ﷺ على ناقته تتوج هامته عمامة دسماء (سمراء) ، ورأسه خفيض من شدة التخشع لله ، لقد انحنى على رحله وبدا عليه التواضع الجمّ.. إن الموكب الفخم المهيب الذي ينساب به حثيثا إلى جوف الحرم ، والفيلق الدارع الذي يحف به ينتظر إشارة منه فلا يَبْقى بمكة شيء آمن ، إن هذا الفتح المبين ليذكره بماض طويل الفصول : كيف خرج مطاردًا ؟! وكيف يعود اليوم منصورًا مؤيدًا ؟ وأي كرامة عظمى حفه الله بها هذا الصباح الميمون ؟ وكلما استشعر هذه النعماء ازداد لله على راحلته خشوعًا وانحناء. انظر : فقه السيرة للغزالي (٣٧٩، ٣٨٠).

(٢) يشير الشيخ إلى حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : ما حدثنا أحد أنه رأى النبي يصلي الضحى غير أم هانىء ، فإنها قالت : إن النبي دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات ، فلم أر صلاة قط أخف منها ، غير أنه يتم الركوع والسجود» رواه البخاري في التهجد (١١٧٦) ومسلم في صلاة المسافرين (٣٣٦) وأبو داود في الصلاة (١٢٩١) والترمذي في الوتر (٤٧٤) والنسائي في «الكبرى» في الصلاة (٤٩٠).

(٣) قال ابن القيم : ثم دخل رسول الله ﷺ دار أم هانىء بنت أبي طالب ؛ فاغتسل ، وصلى ثماني ركعات في بيتها ، وكانت ضحى ، فظنها من ظنها صلاة الضحى ، وإنما هذه صلاة الفتح ، وكان أمراء الإسلام إذا فتحوا حصنا أو بلدا ؛ صلوا عقيب الفتح هذه الصلاة ، اقتداء برسول الله ﷺ. وفي القصة ما يدل على أنها بسبب الفتح شكرا لله عليه ، فإنها قالت : ما رأيته صلاّها قبلها ولا بعدها. انظر : زاد المعاد (٤١٨/٣).

عاش محمد ، أو يحيى محمد ؛ ولكن كان الهتاف باسم الله ، لا باسم محمد المنتصر ، كان الهتاف : لا إله إلا الله وحده صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده[1] .

كانت هذه هي الكلمة التي سادت في ذلك اليوم ، ودخل على ابنة عمّه أم هانئ بنت أبي طالب وكان بيتها بجوار المسجد ؛ وهو الذي خرج منه ليلة الإسراء ، دخل عليها فقال :« هل عندك طعام آكله؟! وكان جائعا . فقلت : إن عندي لكسر يابسة ، وإني لأستحي أن أقربها إليك . فقال : « هلميها » . فكسرتها ونثرت عليها الملح . فقال :« هل من إدام ؟ » فقلت : يا رسول الله ! ما عندي إلا شيء من خل . قال : « هلميه » . فلما جئته به ، صبّه على طعامه ، فأكل منه ، ثم حمد الله تعالى ، ثم قال :« نعم الإدام الخل يا أم هانئ ، لا يفقر بيت فيه خل »[2].

محمد الفاتح الأعظم فاتح جزيرة العرب ، وسيد الجزيرة في يوم الفتح ، ماذا يأكل؟ يأكل خبزاً جافاً مغموساً بالخل! لم تُذبح الذبائح ، ولم تقم الاحتفالات ؛ لكن اكتفى بهذا ، وقال : نعم الإدام الخل .

القائد العظيم هو الذي لا يستخفه النصر ولا تكسره هزيمة . وهكذا كان محمد ﷺ .

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله ﷺ ، خطب يوم الفتح بمكة فكبر ثلاثا ، ثم قال : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده». رواه أبو داود في الديات (٤٥٤٧) ، والطيالسي في المسند (٢٩٩/١) ، والدارقطني في السنن كتاب الحدود والديات (١٠٤/٣) ، والبيهقي في الكبرى كتاب الديات (٦٨/٨) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٨٠٧).

(٢) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٥٩/٤) والطبراني في الأوسط (٨٧/٧) وفي الصغير (١٥٨/٢) والبيهقي في الشعب (١٠١/٥). ولفظة « نعم الأدم أو الإدام الخل» رواه مسلم في الأشربة (٢٠٥١) والترمذي في الأطعمة (١٨٤٠) وابن ماجه في الأطعمة (٣٣١٦) عن عائشة .

٧- يعفو وقتما ينفع العفو :

كان هذا القائد يعرف متى يعفو ويسامح ، ومتى يقسو ويشتد ، في غزوة الفتح ؛ فتح مكة ، اجتمع أهل مكة في المسجد عن بكرة أبيهم ، ووقف النبي ﷺ يقول لهم : يا أهل مكة ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، هؤلاء الفراعنة الجبابرة العتاة الذين طالما آذوه ، وآذوا أصحابه ثلاثة عشر عاماً في مكة ، وقاتلوه في المدينة ثمانية أعوام ، وشهروا عليه السيوف وفعلوا به ما فعلوا ، اليوم يلين كلامهم ، اليوم يتكلمون بلغة الضعيف . يقولون : نظن بك خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فماذا قال عليه الصلاة والسلام ؟

أنفّس لهم عن حقد مكتوم ؟ !

أكان يحمل ضغينة لهم في صدره من طول ما أوذي منهم ؟

لقد نسي ذلك كله ، وقال هذه الكلمة التاريخية الرائعة ، التي سجلها التاريخ بحروف من ذهب ، قال : يا أهل مكة اذهبوا فأنتم الطلقاء . أنتم أحرار ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف:٩٢) [١] ، قال ما قاله أخوه يوسف من قبل لإخوته حينما آذوه وأهانوه قال : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ عفا عن أهل مكة إلا أفراداً معدودين يعتبرون ـ بلغة عصرنا ـ من مجرمي الحرب لم يعف عنهم ، لكنه عفا عن الجميع ، هذا عفوه في هذا الموقف .

٨- يقسو حين لا تنفع إلا الشدة :

ولكنه في موقف آخر لم يعف ؛ موقفه من بني قريظة لم يعف عنهم . لماذا ؟ لماذا لم يعف عن يهود بني قريظة ؟

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى في السير (١١٨/٩) وانظر : تاريخ الطبري (١٦١/٢) ، والبداية والنهاية (٣٠١/٤).

أولاً : يهود بني قريظة طلبوا التحكيم ، فقبل منهم التحكيم . وطلبوا أن يُحَكِّم فيهم حليفهم في الجاهلية سعدَ بن معاذ ، فقبل النبي ﷺ ذلك . وحكَم فيهم سعد ابن معاذ : بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ، فنفذ ﷺ ما حكم به الحَكم الذي اختاروه[1] .

ثانيا : لم يفكر عليه الصلاة والسلام في العفو عن هؤلاء لعدة أسباب ؟

لأنها لم تكن المرة الأولى لليهود، إنهم قبل ذلك نقضوا عهده في بني قينقاع، ونقضوا عهده في بني النضير ، الذين نزلت فيهم أوائل سورة الحشر ، ثم هؤلاء نقضوا عهدهم نقضاً مريباً ، كانت قريش وغطفان قد أقبلت على المدينة تريد أن تستأصل شأفة المسلمين ، أن تبيد خضراءهم ، كان المراد إبادة وتصفية نهائية للمسلمين ، هذه الجيوش الهائلة الجرارة التي أقدمت من هنا وهناك ، أرادت أن تتخلص من محمد ودعوته مرة واحدة ، فجاءوا وهاجموه في عُقر داره .

وكان من حسن قيادة النبي ﷺ : أن استشار أصحابه كما قلنا ، فأشار عليه سلمان بحفر خندق ولم يكن هذا من شأن العرب ، وحفر الخندق ليحول بين فرسان قريش وحلفائها ، وبين اقتحام البلدة ودخول المدينة بالقوة ، ثم كان نص المعاهدة التي بين رسول الله ﷺ وبين اليهود ، ويهود بني قريظة هم الباقون من إخوانهم ، كان نص المعاهدة يقتضي أن يساعدوا الرسول ﷺ ويكونوا معه بالسلاح وبالمال ؛ ضد أي مغير أو مهاجم للمدينة ، اتفاقية دفاع مشترك ، ولكن هؤلاء لم يفعلوا ذلك ، وليتهم اقتصروا على عدم تنفيذ المعاهدة! ولكنهم أعلنوا انضمامهم إلى المغيرين إلى المهاجمين ، انظروا ، الهجوم الذي يراد به استئصال المسلمين وعدم إبقاء باقية منهم ، انضموا إلى المغيرين والمهاجمين ،

---

(١) رواه البخاري في الجهاد (٣٠٤٣) ومسلم في الجهاد (١٧٦٨) وأبو داود في الأدب (٥٢١٥) والنسائي في « الكبرى» في القضاء (٨١٦٥).

إنها خيانة من أعظم الخيانات في التاريخ ، لو أنهم حقَّقُوا ما كانوا يحلمون به ؛ من القضاء على محمد وأصحابه ؛ ما كان هناك إسلام ولا مسلمون في التاريخ ، لأن هذه كانت القاضية ، فقد أرادت قريش وغطفان وأتباعهما وأحابيشهما القضاء على محمد في مهده ، في عقر داره ، ولكن اليهود للأسف لم يعملوا بالمعاهدة والاتفاق ، وإنما انضموا إلى المهاجمين ، إلى المغيرين ، إلى الأعداء كما سجل ذلك القرآن حينما قال : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ (الأحزاب:١٠،١١) ، وأي زلزلة أكبر من هذه الزلزلة .

ولذلك كانت خيانة بني قريظة خيانة عظمى ؛ بل من أعظم أنواع الخيانات العظمى ، لم تكن خيانة لفرد بل كانت خيانة لهذه الرسالة ، ولهذه الأمة ، ولهذا الرسول ولهؤلاء الصحابة ، خيانة لهذا الدين ، قضاء على هذا الدين ، فكانت الجريمة جريمة كبيرة ، ليس كجريمة أهل مكة ، لأنه لم يكن بين الرسول وبين أهل مكة أي عهد ، أما هؤلاء فكان بينه وبينهم عهد ، فغدروا ونكثوا ونقضوا .

ثالثا : ثم إن الموقف في ذلك الوقت كان مختلفاً عن موقف فتح مكة ، موقف فتح مكة كان الرسول قد ثبت أقدامه ، وانتصر في عدة انتصارات ، وأصبح الأمر مستتباً له إلى حد كبير ، أما في هذا الوقت فالعفو هنا معناه أن يقول اليهود : ضحكنا على محمد ، وخدعنا محمداً ، وأخذنا منه العفو ، ما كان ليمكن هؤلاء من أن يقولوا ذلك . الجريمة عظيمة ، والوقت في غاية الخطر ، لو صدقت نبوءتهم ، وتحققت أحلامهم لقضي على الإسلام قضاء مبرماً ، فالجريمة كانت عظمى ، والوقت كان وقتاً خطراً .

رابعا : إن القوم غير القوم . العرب غير اليهود . العربي إذا عفوت عنه اعتبر أنك ملكته بعفوك ، الإنسان أسير الإحسان ، إذا عفوت عن العربي وأنت قادر

اعتبر ذلك منّة منك ، يحفظها لك طول عمره ، أما اليهودي فلو عفوت عنه يقول : خدعته وضحكت عليه ، وسأعود لمثلها بعد ، وهذا ما حدث ، حُيَيّ ابـن أخطب فرّ من بني النضير ، ولكنه لم يسكت ، ظل يؤلب العرب ، هذه الغزوة نفسها من تأليب اليهود ، من تأليب حُيَيّ بن أخطب وبعض اليهود معه ، حتى أثاروا المشركين ليهاجموا الرسول عليه الصلاة والسلام في عقر داره[1] ، ولذلك لم يكن يتصور أن يعفو النبي ﷺ عن بني قريظة ، كان لا بد أن يؤاخذهم بجريمتهم ، وإلا بقوا يعيثون في الأرض فساداً ، كما عاثوا من قبل ، وكما عاث إخوانهم من قبل .

هذه أيها الإخوة خلاصة موجزة لقيادة رسول الله ﷺ : القائد الموفق ، القائد الناجح ، القائد الشجاع ، القائد الذي لا يفت في عضده شيء ، بعد غزوة أحد نادى أصحابه وهم مثخنون بجراحاتهم وبدمائهم ، دعاهم ليلحقوا بجيش أبي سفيان في غزوة تسمى : غزوة حمراء الأسد ، حتى يظهروا للمشركين قوتهم وثباتهم ، وقد ذكرها القرآن حينما قال : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَانَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران:١٧٢-١٧٥) .

* * *

---

(١) ذكر البيهقي بسنده عن عثمان بن يهوذا أحد بني عمرو بن قريظة ، عن رجال من قومه قالوا : كان الذين حزّبوا الأحزاب ؛ نفر من بني النضير ، ونفر من بني وائل ، وكان من بني النضير حُيَيّ ابن أخطب ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وأبو عمار ، ومن بني وائل حي من الأنصار من أوس الله ، وحوح بن عمرو ، ورجال منهم خرجوا حتى قدموا على قريش ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، فنشطوا لذلك . البيهقي في الكبرى (٢٣٢/٩) . وانظر : السيرة النبوية لابن هشام (٢٣٧/٣) .

(٤)

نور الدين محمود الشهيد[١]

● الخطبة الأولى :

بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى :

يا أيها الإخوة المسلمون : لا زلنا في رحاب الإسراء والمعراج ، ذلك الحدث العظيم الذي ربط الله به بين المسجدين : المسجد الحرام والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ، هذا الحدث الذي أراد الله تبارك وتعالى به ـ فيما أراد ـ أن يثبت هذا المعنى الكبير ، معنى الارتباط بين المسجدين ، المسجد الحرام الذي ابتدأ منه الإسراء ، والمسجد الأقصى الذي انتهى إليه الإسراء ، حتى لا يمكن لهذه الأمة أن تفرط في أحدهما ، إلا إذا فرطت في الآخر ، فمن فرط في المسجد الأقصى أوشك أن يفرط في المسجد الحرام .

أراد الله تبارك وتعالى لهذه الأرض المباركة أرض النبوات ، وأرض القدس وفلسطين التي بارك الله فيها للعالمين أن ينتهي إليها الإسراء ، وأن يبتدئ منها المعراج ، وأن تكون ملتقى لرسول الله ﷺ مع النبيين ، وأن يصلي عليه الصلاة والسلام بهم إماما ، ليثبت للناس أن الدين عند الله واحد ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران:١٩) وأن الأنبياء جميعا إخوة ، دينهم واحد وإن اختلفت شرائعهم ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة:٤٨) وأن الإمامة إنما هي لمحمد ﷺ ، إيذانا بأن القيادة الدينية انتقلت من أمة إلى أمة ، من بني إسرائيل

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة في يوم الجمعة ٨ من ربيع الثانى ١٤٢٢هـ، الموافق : ٢٠ يوليو ٢٠٠١م .

OBEIKAN.COM

إلى بني إسماعيل ، أو إلى الأمة التي أخرجت للناس ، كل الناس ، فليس الإسلام للعرب وحدهم ، ولكنه للعالمين جميعا ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف:١٥٨)

هذا المسجد الأقصى وهذا القدس الشريف وهذه الأرض المباركة تتعرض اليوم لما تتعرض له ، تتعرض لعدوان هؤلاء الصهاينة ، الذين لا يخشون خالقا ، ولا يرحمون مخلوقا ، الذين وصفهم الله بالقسوة ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (البقرة:٧٤) ، ووصفهم الله بالعنصرية ، وأنهم يستحلون الأمم جميعا ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران:٧٥) ووصفهم الله تعالى بالغدر ونقض المواثيق والعهود ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ (الأنفال:٥٥،٥٦) ، عرف ذلك في عصر رسول الله ﷺ ، فبعد أن أقام معهم العهود والاتفاقيات نقضوها قبيلة بعد قبيلة ، بنو قينقاع ، ثم بنو النضير ، ثم بنو قريظة ، انضموا للوثنيين من المشركين ، وقالوا لهم : أنتم أهدى سبيلا من محمد! هؤلاء الذين يدعون أنهم أمة التوحيد ، فضلوا الوثنيين على دين التوحيد ، وعلى نبي التوحيد ، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾(النساء:٥١،٥٢)

معركتنا مع اليهود طويلة الأمد :

نحن أيها الإخوة في معركة دائمة وطويلة مع اليهود ، مشكلة كثير من الناس في عصرنا أنهم يريدون أن يختصروا هذه المعركة ، وهي معركة بطبيعتها طويلة الأمد ، طويلة النفس ، الذين ملوا الجهاد والكفاح يريدون أن يصلوا إلى

حقهم بالكلام وبالمفاوضات ، ولكنهم للأسف ـ منذ حاولوا ذلك وإلى اليوم ـ لم يصلوا إلى شيء ، ولن يصلوا إلا إلى سراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا!

إن السلام الذي يقال ، ويتردد ذكره هذه الأيام هو سلام إسرائيل ، إسرائيل تريد سلامها ، تريد أن تأخذ كل شيء ولا تعطي شيئا ، ولا أدري كيف يصدقها هؤلاء الذين يركضون هنا وهناك ، من مدريد إلى أوسلو ، إلى واشنطن ، إلى شرم الشيخ . . إلى . . إلى؟ وحتى اليوم لم نرهم قبضوا شيئا إلا الريح في أيديهم .

إن المعركة أيها الإخوة معركة طويلة لا تحل بين عشية وضحاها ، ولا تحل بالاستجداء ، بأن تستجدي من إسرائيل بأن تعطيك شيئا ، الحقوق لا تستجدى ، والحريات لا توهب ، وإنما تؤخذ بالجهاد والكفاح ، والعرق والدم ، هذا ما أثبته التاريخ ، ولكن للأسف لم نحسن الاعتبار بالتاريخ ، ولم نحسن قراءة التاريخ ، التاريخ معلم الأمم والأفراد ، التاريخ مخزن العبر ، التاريخ مدرسة لكل من يريد أن يتعلم .

رجال يجب أن نقرأ تاريخهم :

ونحن كما ذكرنا من قبل : قد ابتلينا بقوم احتلوا هذه المنطقة نفسها ، هؤلاء الذين جاءوا من الغرب بقضّهم وقضيضهم ، وثالوثهم وصليبهم ، في حملات مشهورة مسعورة ، يريدون ـ فيما زعموا ـ أن ينقذوا قبر المسيح! هؤلاء الذين سماهم علماء المسلمين : الفرنجة ، كفار الفرنجة جاءوا من الغرب من أوروبا ليحتلوا هذه البلاد ، وجاءوا والمسلمون في غاية من الضعف ، وفي غاية من الفُرْقة ، وفي غاية من التخاذل ، واستطاعوا أن يدخلوا هذه البلاد ، وأن يقيموا لهم ممالك وإمارات ، ظل بعضها مائتي سنة أو تزيد ، وحالفوا بعض الأمراء في تلك المنطقة ضد إخوانهم من العرب والمسلمين ، فهيأ الله رجالا نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله ، نذروا أنفسهم لمقاومة هؤلاء الكفار المعتدين ،

نذروا حياتهم لهذا الأمر ، فكان هناك رجال ينبغي أن نقرأ تاريخهم ، ونتعلم منهم ، هؤلاء هم الرجال الذين بعثهم الله للإنقاذ والتحرير ، وجاءوا من أجناس شتى ، بعضهم تركي ، وبعضهم كردي ، هؤلاء الرجال أمثال : عماد الدين زنكي التركي وابنه نور الدين محمود ، الذي لقب بالشهيد ، وتلميذه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ومن بعدهم : الظاهر بيبرس البندقداري القائد المملوكي ، هؤلاء هم الذين تولوا تحرير هذه الأرض من الصليبيين أو من الفرنجة ، وأخرجوهم مدحورين من هذه الديار .

لا بد أن نتعلم من هؤلاء ماذا صنعوا؟ يكفينا من هؤلاء رجلان اشتهرا في التاريخ .

أولهما هو : نور الدين محمود بن زنكي .

وثانيهما : صلاح الدين يوسف بن أيوب .

أما محمود بن زنكي أيها الإخوة فكثير من المسلمين يجهلونه ، ولا يعرفون قيمته في التاريخ ، يقول ابن الأثير رحمه الله في كتابه (الكامل في التاريخ) : « لم يعرف بعد عمر بن عبد العزيز أمير كان مثل نور الدين محمود بن زنكي في عدله وتقواه ، وزهده وشجاعته ، وحسن سيرته في الناس » بعد عمر ابن عبد العزيز لم يظهر مثله ، هذا الرجل الذي ورث الملك عن أبيه ، ورث (حلب) و(الموصل) و(الشام) و(بلاد الجزيرة) وأراد بعد ذلك أن يضم إليها مصر ، لأن مصر مهمة إذا انضمت إلى هذه القوة يمكنها أن تفعل شيئا في حرب الصليبيين ، كان هذا الرجل مثالا للإنسان المسلم ، التقي العادل المجاهد ، وكان يلقب بالملك العادل ، وهو عادل فعلا .

علاقة نور الدين محمود بربه :

أول شيء كانت علاقته بربه على أعظم ما يكون ، تعلم العلم ، وقرأ القرآن والحديث ، والفقه على المذهب الحنفي ، ولكنه لم يكن متعصبا لمذهبه ، كان يكرم العلماء من كل المذاهب . وكان إذا دخل عليه الأمراء هابوه ، ووقفوا بين

يديه قائمين ، حتى يأذن لهم بالجلوس . ولكن إذا دخل عليه عالم ، أو فقيه ، أو رجل صالح من أفقر الناس ، قام له وهشّ له ، وأجلسه بين يديه أو بجواره ، هكذا كان هذا الرجل ، كان من العلماء في نفسه ، كان كثير القراءة للقرآن والتلاوة له ، كان كثير القراءة للكتب الدينية ، أراد أن يفقه نفسه إضافة إلى تفقهه على مشايخ عصره ، وعلماء عصره .

كان من قوّام الليل ، كان يقوم الليل ويتضرع إلى الله تبارك وتعالى في سجوده : أن يكتب له النصر ، ويسأله الشهادة ، وهو ـ إن لم يُرزق هذه الشهادة ـ عاش طوال عمره يتمنى الشهادة ، ولكنه قال : يبدو أني لست أهلا لهذه الشهادة ، ولهذا لم يرزقني الله إياها . ومن حبه للشهادة وسؤاله إياها ، ورغبته فيها ، لقبه الناس المسلمون : نور الدين محمود (الشهيد) ، وهو لم يستشهد ، ولكن لتعلقه بالشهادة سماه الناس الشهيد ، وقد جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ : « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه »[1] .

عاش نور الدين محمود وهو رجل خاشع لربه ، متضرع له خائف منه ، قائم لليل ، صوّام للنهار ، وكان يقوم الليل هو وزوجته (خاتون) ، حتى إن امرأته أصبحت مرة فوجدها حزينة آسفة ، فقال لها : ما بك؟ قالت : غلب عليّ النوم فلم أقم الليلة ، فأمر أن تقام طبلخانة (مكان للطبل) تأتي قبل الفجر بنحو ساعة ، أو بنحو ذلك ، وتضرب الطبل لمن يريد أن يقوم الليل ، هذا ما كان يشغل هذا الرجل ، ويشغل أهل بيته .

كيف لي أن أتبسم وثغر من ثغور المسلمين محاصر :

كان يقرأ الحديث ويتعلمه على أيدي شيوخ الحديث في زمنه ، وقد أجيز بعلم الحديث ، ففي علم الحديث شيء اسمه (الإجازة) ، أن يعطيك عالم

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٩) وأبو داود الصلاة (١٥٢٠) وابن ماجه في الجهاد (٢٧٩٧) والترمذي في الجهاد (٣١٦٢) عن سهل بن حنيف .

الحديث إجازة مثل شهادة ، بأن من حقك أن تروي الحديث ، وفي مرة من المرات روى حديثا مسلسلا بالابتسام ، ما معنى مسلسل بالابتسام؟ أي أن راوي الحديث روى أن النبي ﷺ قال كذا وتبسم ، فالصحابي الذي يروي الحديث حينما يروي الحديث يتبسم كما تبسم النبي ﷺ ، أي يروي الحديث قولا وفعلا ، والتابعي الذي يروي عن الصحابي يقول كذا وتبسم ، ثم يتبسم هو كما تبسم الصحابي الذي روى عنه ، وتابعي التابعي وكل واحد يروي الحديث يبتسم في نهاية الحديث ، ولما روى نور الدين محمود هذا الحديث لشيخه لم يتبسم ، فقال له شيخه : تبسم يا نور الدين حتى تكتمل الرواية قولا وفعلا ، فقال له : كيف لي أن أتبسم وثغر من ثغور المسلمين محاصر؟!

كان الصليبيون يحاصرون دمياط ، فقال له : من أين يأتيني الابتسام؟ لا أجد الابتسام على شفتي وثغر من ثغور المسلمين محاصر! انظروا إلى هذه النفسية التي لا تستطيع أن تتبسم في مثل هذا الموقف ، لا يجد ابتسامة ، إنه مشغول بهموم هذه الأمة ، هذا لون من الناس .

شخصية فريدة :

كان نور الدين محمود شخصية فريدة ، علَّم نفسه فنون الفروسية ، الرماية والقتال والرياضة ، وكان يلعب الكرة بالجياد ، يركب الجياد ويأخذ الكرة وهي طائرة ، وأحيانا يلتقطها من الجو ، وقد لامه بعض العلماء في ذلك كأن هذا نوع من اللعب ، فقال له : إنما الأعمال بالنيات ، نحن قوم مجاهدون ، ولا نريد أن ننسى الجهاد ، ولا أن تنسى خيلُنا الحركةَ والمعاناةَ دائما ، فنحن نمرن خيلنا ، ونمرن أنفسنا حتى لا ننسى ، وإنما لكل امرئ ما نوى .

نور الدين حريص على إقامة العدل :

كان رجلا شجاعا لا يهاب الموت في سبيل الله ، وكان رجلا عادلا ، كان يعدل بين الناس ، بين الصغير والكبير ، أقام مجلساً للعدل وللنظر في المظالم ،

فتح بابه للناس جميعا ، كل من عنده مظلمة عليه أن يتقدم إلى الأمير ، أو الملك العادل نور الدين ، يجلس مرتين في الأسبوع ، وقيل : أربعا ، وقيل : خمس مرات في الأسبوع ، ليتلقى مظالم الناس على أي واحد من قواده أو أمرائه أو ولاته ، وقد رأى أن بعضهم لم يصل إليه مظلمة من قبله ، وهو أسد الدين شيركوه ؛ عم صلاح الدين ، لم يتقدم أحد يقول : إنه ظلمه ، وذلك أن أسد الدين قال للناس : من كان له مظلمة فليأت إليّ ، ولا يفضحني عند نور الدين لأرفع المظلمة عنه ، فلما سأل : لماذا لم يتقدم أحد ضد أسد الدين؟ قالوا له : إنه قال للناس كذا ، فمن كان له مظلمة ذهب إلى أسد الدين فرفع عنه مظلمته ، فسجد لله شكرا ، وقال : الحمد لله الذي وفق ولاتي إلى هذا .

شرع الله أولى بالتطبيق :

كان رجلا حريصا على إقامة العدل ، وكان يراقب الله في كل صغيرة وكبيرة ، وينفذ شرعه ، ويقول : نحن خدم محمد ﷺ وخدم شرعه ، واقترح عليه بعض ولاته أو وزرائه : أن يزيد في العقوبة عن الحد الشرعي ، وقالوا له : إن هناك بعض العتاة من المجرمين لا تكفيهم الحدود الشرعية ، فلا بد أن نؤدبهم بأكثر مما جاء في الحدود حتى يرتدعوا ، فكتب إليه يقول : « سبحان الله! كيف تقترح عليّ مثل هذا؟! كأنك تقول : إنني أعلم من الله عز وجل ، وإن ما نقترحه من عند أنفسنا أعدل من شرع الله عز وجل ، والله لا أفعل ذلك ، ولا أتعدى حدود الله أبدا » . وبهذا رأى الرجل أن أي افتئات على الشرع بالزيادة أو النقصان ؛ كأنما يفضل الإنسان عقله على علم الله تبارك وتعالى .

الحامي والحارس هو الله :

هذا الرجل العظيم قال له بعض العلماء مثل الشيخ قطب الدين في يوم من الأيام : أيها الأمير! لا تخاطر بنفسك ، وقد كان يدخل في الجيش ويحارب ، ولا يبالي أوقع على الموت ، أم وقع الموت عليه ، فقال له : لا تخاطر بنفسك ،

فإنك إن قتلت فسد الحال، وضاع المسلمون، وضاع الدين ... إلى آخر ما قال. فقال له : اسكت يا قطب الدين ، لا تقل هذا الكلام ، هذه إساءة أدب مع الله عز وجل ، من كان يحرس الدين ، ومن كان يحمي المسلمين قبل محمود ابن زنكي؟ إن الله عز وجل هو حامي الدين ، وهو المدافع عن المؤمنين ، فلو مت ، أو قتلت لبعث الله من يحمي هذا الدين . ويدافع عنه ممن لا نعلم عنه .

انظروا إلى هذه الحساسية من هذا الرجل ، يقول : أنت تسيء الأدب إذا قلت : إنك إذا هلكتَ أو قتلتَ ضاعت الأمة ، وضاع الدين ، لست أنا الذي أحمي الدين ، ولست أنا الذي أحمي الأمة ، الله هو الحامي ، وهو المدافع عن الدين وعن الأمة .

تواضع رفيع :

وكان الخطباء يدعون له على المنابر بألقاب ضخمة : «اللهم انصر عبدك نور الدين بن محمود بن زنكي ، معز الدين ، وناصر الدولة ، ومجد الأمة ، وكذا وكذا» فأمر بحذف هذا كله ، وقال قولوا : «اللهم انصر عبدك ابن عبدك محمود بن زنكي ، وأصلح حاله ، ولا تزيدوا على ذلك» .

وبعض العلماء اقترح عليه ، فقالوا : هل هناك مانع أن نقول : «اللهم انصر عبدك الخاضع لهيبتك ، الراجي لرحمتك ، المرابط في سبيلك ، المقاوم لأعداء دينك . . ومثل هذا الكلام»؟ فقال : إذا لم يكن فيه كذب فلا بأس ، أما المدائح الكاذبة ، والمبالغات الزائفة ، فلا تجوز على المنبر أبدا .

هكذا كان هذا الرجل العظيم ، هذا الرجل قاوم الصليبيين قاتلهم وهزمهم ، أسر منهم من أسر ، وقتل منهم من قتل ، وأسر بعض الملوك يوما ، ثم فاوضه هذا الملك أن يدفع له مبلغا كبيرا من المال ويفديه ، وشاور العلماء والوزراء والأمراء من حوله ، فبعضهم قال له : اقتله وأرح المسلمين من شره . وبعضهم قال له : نأخذ المال نتقوى به في الجهاد في سبيل الله ، ثم ترجح له أن يقبل

الفداء منه ، ويأخذ المال ليتقوى به في الجهاد ، وبعد أن أخذ المال كأنه لام نفسه ، فلما ذهب هذا الملك إلى بلاده أدركه الموت ، وأخذه الله ، وجاء الخبر إلى نور الدين ، فقال : الحمد لله ، كفانا الله شره ، وأخذنا منه الفدية لمصلحة الجهاد ومصلحة المسلمين .

(بيماريستان) نور الدين محمود :

كان هذا الرجل يعمل باستمرار على تنفيذ شرع الله ، وعلى رفع الظلم عن الناس ، هذا الفداء الذي أخذه من هذا الملك بنى به (بيماريستان) مستشفى خيريا كبيرا ومعروفا في التاريخ (بيماريستان نور الدين محمود) في دمشق ، لم يبن مثله قبله ولا بعده ، مستشفى للفقراء والمستضعفين من الناس ، يدخل الإنسان فيه يعالج مجانا ، ويبقى فيه إلى أن يشفى ، ويخرج ويهيأ له المأكل والمشرب ، والدواء وكل الرعاية المطلوبة ، ولا يدخله الأغنياء إلا بأجر ، إلا إذا كان الدواء الذي يحتاج إليه الأغنياء لا يوجد إلا في هذه المستشفى ، فيسمح لهم بالتداوي به ، هذا ما فعله هذا الرجل .

ورعه :

وحينما آتاه الله الغنائم من معاركه في الجهاد ، مع الفرنجة أو الصليبيين ، رفع المكوس عن المسلمين ، الضرائب التي كانت تؤخذ من الناس ، وكان الناس يشكون منها ، فرفع عنهم هذه المكوس الجائرة والمبالغة ، وأعفى الناس منها ، فدعا الناس له في المشارق والمغارب ، وقال للعلماء : أحلوني من الناس ، اطلبوا من الناس أن يحلوني ، وأن يعفوني مما حدث ومما أخذت منهم قبل ذلك ، وقولوا لهم : إن ما أخذناه منهم والله لم ننفقه إلا في الجهاد في سبيل الله ، وفي الدفاع عنهم ، وعن بلادهم وعن أولادهم ونسائهم ، فكان العلماء يطلبون ذلك من الناس . يريد الرجل أن يلقى الله وليس في عنقه مظلمة لأحد ، وقد طلب من العلماء أن يفتوه بما يحل له من بيت المال ،

فقالوا له : يحل لك كذا وكذا ، فكان أحيانا يأخذ هذا القدر فلا يكفيه . فيقولون له : زد . فيقول : والله لا أزيد عما أفتاني به العلماء درهما ولا دينارا ، ويحاول أن يكفي نفسه بهذا القدر القليل ، ولذلك قالوا : كان أقل الفقراء من الناس أعلى منه نفقة ، يكتفي بالقليل ، متقشفا زاهدا في الدنيا وخزائنها ، وكان له دكاكين اشتراها في حمص مما يخصه من الغنائم ، فكان يأخذ منها ، وكانت تأتي بدخل قليل ، وطالبته زوجه مرة : أن نفقتها قليلة ، فليزد معاشها أو راتبها أو ما تأخذ ، فقال لها : من أين؟ أتريدين أن أعطيك من بيت مال المسلمين ما لا يحل لك؟ ثم قال لها : أعطيك ثلاثة دكاكين تأخذين من غلتها في (حمص) وهذه الثلاثة دكاكين كانت تأتي في العام بعشرين دينارا، وهذا شيء قليل جدا، فعاش الرجل وعاش أهله في هذا الزهد.

من خاف الله أخاف الله منه كل شيء :

مثل هؤلاء هم الذين تنتصر بهم الأمم ، هم الذين تنتصر بهم الرسالات ، هم الذين تتحقق بهم الغايات ، هم الذين ينهزم بهم الأعداء ، ولذلك كان مجرد ذكر نور الدين محمود أمام أعدائه يرعبهم ، ويقلقهم ، ويزعجهم ، ويخافون من ملاقاته إذا لاقَوْه ، لأنه رجل خاف الله فأخاف الله منه كل شيء ، كان هذا نور الدين محمود بن زنكي ، الذي عاش طول عمره لله ، وللجهاد في سبيله ، وللقاء أعدائه ، ولهذه المعركة التي كرس لها حياته ، ونذر لها نفسه ، ونذر لها كل قوته ، وقوة دولته ، هذا هو نور الدين محمود بن زنكي ، وهو رجل ينبغي أن ندرس سيرته ، ما ذكرته أيها الإخوة ملامح ومقتطفات من هذه السيرة المشرقة .

آثار (نور الدين) في الحياة الإسلامية :

أما سيرة الرجل وما صنعه في الحياة الإسلامية ، لقد بنى المدارس التي تعلم الناس ، المدارس النورية في كل مكان وخصوصا في بلاد الشام ، مدارس

الحديث ، أول من بنى مدرسة للحديث هو نور الدين محمود ، بنى هذا لأنه لا يمكن أن تقيم الجهاد إلا إذا أصلحت الجبهة الداخلية ، إلا إذا أعددت الشعب بالتعليم ، كان من ناحية يعد الناس للجهاد ، وينفخ في الشعب من روح الإيمان ، وينشر العلم والثقافة ، وينشر العدل بين الناس ، حتى يكون الناس معك ، حتى يقول الناس بإخلاص : اللهم انصر فلانا .

إن كثيرا من حكامنا اليوم يتردد الناس إذا دخلوا معركة : أيدعون الله أن ينصرهم ، أم يدعون الله أن يأخذهم ويريح العباد والبلاد منهم ؟ تتردد ألسنتهم بين الخوف منهم ، والخوف على بلادهم ، أما هذا نور الدين محمود ؛ فكان الناس يتمنون من كل أعماق قلوبهم أن ينصره الله ، لأنه إذا انتصر انتصر معه الحق والعدل والخير ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الحج: ٤٠، ٤١) ، أقول قولي هذا أيها الإخوة وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

واجبنا نحو فلسطين :

إن المعركة بيننا وبين بني صهيون الغاصبين المعتدين معركة مستمرة ، لا ينبغي أن نلقي فيها السلاح حتى نحرر الأرض المغصوبة ، ونعيد البلاد المفقودة ، ونسترد حرية هذه الأمة وكرامتها ، ولن يكون ذلك إلا بأن يبذل كلُّ إنسان ما يستطيع من نفس ومال ، كثيرا ما سألني الشباب المسلم في كل بلد

أزوره : ما الواجب علينا اليوم ، ونحن لا نستطيع أن نذهب لتحرير المسجد الأقصى؟ فأقول لهم : إن على كل مسلم عدة أشياء :

١- اصطحاب نية الجهاد :

الأمر الأول : عليه أن يصطحب نية الجهاد ، إذا لم تستطع أن تجاهد فانو الجهاد بقلبك « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى»[١] وفي الحديث : « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بغزو ، فقد مات على شعبة من النفاق»[٢] ، أقل ما في الأمر أن تحدث نفسك بالغزو وبالجهاد ، أن يكون هذا حاضرا بذهنك ، خاطرا ببالك ، ليس أمرا منسيا ، ولا أمرا مهجورا ، حدث نفسك بالجهاد دائما حتى تتاح لك الفرصة ، اصطحب نية الجهاد ، فإذا أتيحت الفرصة فتقدم ، وإن لم تتح كتب لك أجر المجاهدين ، وقد جاء في الصحيح : « من سأل الله الشهادة بصدق : بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[٣] .

٢- الجهاد بالمال :

الأمر الثاني : الجهاد بالمال مطلوب من المسلمين ، فالله تعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في بدء الوحي (١) ومسلم في الإمارة (١٩٠٧) وأحمد في المسند (١٦٨) وابن ماجه في الزهد (٤٢٢٧) وأبو داود في الطلاق (٢٢٠١) والترمذي في الجهاد (١٦٤٧) والنسائي في المجتبى كتاب الطهارة (٧٥) عن عمر بن الخطاب .

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٠) وأحمد في المسند (٨٨٦٥) وأبو داود في الجهاد (٢٥٠٢) والنسائي في المجتبى كتاب الجهاد (٣٠٦٧) عن أبي هريرة .

(٣) رواه مسلم عن سهل عن بن حنيف ، وقد سبق تخريجه .

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(الصف: ١٠، ١١) ويقدم المال على النفس ، وفي الحديث الصحيح : « من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا »[١] .

فإذا لم تغزُ ، ولم تجاهدْ ، فلتساعد المجاهدين وتجهزهم ، ادفع لهم ما يستطيعون أن يقاوموا به ، ولذلك نحن نقول : إذا لم تكن حكوماتنا قادرة على الحرب ، ولا يمكنها أن تعلن الحرب ، وليس عندها من المؤهلات ما يعدها لذلك ، على الأقل تدعم المقاومة ، يجب أن تستمر المقاومة ، ويجب أن تستمر الانتفاضة ، وللانتفاضة شهداء ومجروحون ومعوقون ومعتقلون ، أشياء كثيرة تحتاج إلى مال ، فلابد أن نبذل المال ، هناك جمعية الشيخ عيد بن محمد الخيرية في قطر ، هذه المؤسسة تقوم مع مثيلاتها بجمع التبرعات لإرسالها إلى هؤلاء الذين يحتاجون إلى النصرة والإغاثة . وإغاثة الملهوفين ، وتفريج كربة المكروبين ، من أعظم ما دعا إليه الإسلام ، فالبذل من المال يجب أن نستمر فيه ، ولا نتوقف أبدا ، ما دامت المعركة قائمة فلا بد أن نمدها بالمال ، إخواننا في الأرض المقدسة يبذلون من دمائهم وأنفسهم ، فلا أقل من أن ندفع من أموالنا ، هم يبذلون الدم ، أفلا نبذل نحن قليلا من المال؟

٣- واجب مقاطعة إسرائيل وأعوانها :

والواجب الثالث علينا أيها الإخوة: هو مقاطعة إسرائيل ومن يساند إسرائيل، حرام علينا أن نشتري من بضائع هؤلاء ، لا يجوز لمسلم أن يدفع لهم درهما أو ريالا أو جنيها أو دينارا ، أو أي عملة من العملات ، كل عملة من هذه ، كل ريال يدفع لهم يتحول إلى رصاصة في صدر أخيك وأختك وابنك وابنتك هناك في فلسطين ، أنت إذن بهذا تساعد على قتلهم ، فلا يجوز أن تقتل إخوانك ، إذا

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٣) ومسلم في الإمارة (١٨٩٥) وأحمد في المجتبى كتاب الجهاد (٣١٨٠) عن زيد بن خالد .

لم تقاتل عنهم فلا تقتلهم ، أنت تقتلهم بمالك الذي تشتري به هذه الأشياء ، سواء كانت بضائع إسرائيلية أم بضائع أمريكية ، ولماذا؟ أنا أتعجب لهذه العبودية ، عبّدنا هؤلاء الناس لأنماط وأذواق أصبحت تمتلك علينا أمرنا ، ولم نعد نملك لها شيئا ، أصبحنا مدمنين ، هذا الذي يشرب (الكوكاكولا) و(البيبسي كولا) وهو هائم ، ما هذا؟ ما هذه العبودية؟ أأنت أسير أم حر؟ ، لماذا لا تركل هذه الأشياء وترفضها ، ما الذي يجعلنا نطلب الهامبورجر والبيتزا كأننا أمة أصبحنا لا نملك أن نصنع الطعام لأنفسنا ، هذا أمر عجيب ، ألا نملك أن نصنع لأنفسنا دجاجة نشويها أو فطيرة نأكلها أو أي شيء من هذا؟ ولماذا نتعبد بأذواق غيرنا ، وكل أمة لها أذواقها ولها مأكولاتها ، ولها مشتهياتها ولها مواريثها في هذه الناحية؟ لماذا نغير أذواقنا ، لندفع الملايين بل المليارات ؟ هذه الأشياء بالجملة أيها الأخوة تكون المليارات ، ما نشتريه من أمريكا ؛ مما يؤكل ويشرب ويلبس ، ويركب من السيارات ، وما يستخدم من أجهزة وآلات ؛ يكون في النهاية مليارات وعشرات المليارات ومئات المليارات تدفع من المسلمين هنا وهناك .

وقد قال أحد الأخوة المسلمين الأمريكان حينما استضافتنا قناة أبو ظبي الفضائية : إن الأمريكان يؤيدون اليهود وسيظلون يؤيدونهم لأنهم لن يدفعوا ثمن هذا التأييد ، لن يخسروا شيئاً ، ما خسروا شيئاً ، مع أنه لولا التأييد الأمريكي ، ولولا المال الأمريكي ، ولولا السلاح الأمريكي ، ولولا الفيتو الأمريكي ما قامت إسرائيل ولا صالت وجالت وعربدت في المنطقة دون أن يردها راد ، أو يصدها صاد .

نحن لا نستطيع أن نحارب أمريكا ولكن ألا نستطيع أن نرفض أكل أمريكا وشرب أمريكا ، ألا تستطيع أن تقول لا لن أشرب البيبسي؟ هذه الأشياء دخلت علينا غيرت حياتنا ، كان الناس قديماً يشربون العرقسوس والخروب

والسوبيا وماء الشعير ، أشياء كانت رخيصة ومفيدة للناس . حتى دخلت هذه الأشياء ، فذهب هؤلاء الناس الذين كانوا يصنعون هذه المشروبات الوطنية وانقطعوا من الحياة ، بسبب كساد أشيائهم ، حين أصبحنا عبيداً لهذه الأشياء الجديدة . ما هذا أيها المسلمون؟ ، أنا أريد من الأمة أن تقاطع هذه الأشياء بعزيمة وإصرار وقوة وهي قادرة أن تفعل إن شاء الله .

٤- حمل همّ المسجد الأقصى :

الأمر الرابع ، أن على كل مسلم أن يحمل هذا الهم ، يحمل هم المسجد الأقصى وتحرير المسجد الأقصى ، ولا يستبعد هذا الأمر ، ولا يقول : أنا مالي ، وماذا أفعل؟ لا يا أخي . احمل هذا الهم ، هم أمتك ، وهم قضاياها ، من لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم ، أقل ما ينبغي أن تدعو لإخوانك ، ادع لهم في سجودك إذا سجدت ، وفي خلوتك إذا خلوت ، وفي سحرك إذا قمت في السحر ، ادع الله أن ينصر إخوانك ويعزهم ويذل أعدائهم المعتدين ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

* * *